أثر التصوف الاسلامي في بناء المجتمع المعتدل
قراءة في افكار الإمام أبي حامد الغزالي ومحي الدين بن عربي المرسي إنموذجا

ا.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي
فكر وحضارة اسلامية
كلية التربية – الجامعة العراقية
العراق

ا.د. برزان مُيَسر حـــامد الحميـــد
تاريخ اسلامي/ مغرب وأندلس
كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة الموصل
العراق

dr.barzan_78@yahoo.com
07701601393

مستخلص البحث:
قطع التصوف شوطاً كبيراً في رعاية الاسرة وانقاذها من الفكر الضال الهدام للمجتمع الاسلامي والعمل على تربيه الجيل وفق اسس اسلامية صحيحة تعتمد القران الكريم فكراً، والحديث والسيرة المحمدية منهجاً نقتدي به، وتوصيات الصحابة برنامجاً لتنوير العقل والقلب . وقد ساهم فكر التصوف في نشر الامن والاخلاق والثقافة والاعتدال والتواضع والمساواة واحترام الأراء والنظريات ومحاسبة النفس والجوارح البشرية عن الاخطاء والذنوب والمنكرات. من هنا سنتناول في هذا الدراسة اثر التصوف الاسلامي في بناء المجتمع المعتدل وانجاب الابناء المثاليين، متخذين من فكر الامام الغزالي وابن عربي في هذا المجال انموذجاً لذلك. وأقتضت طبيعة الدراسة ان نقسمها الى مبحثين ، تناولنا في المبحث الاول التعريف بالامام الغزالي رحمه الله والتربية الاجتماعية، في حين خصصنا المبحث الثاني للحديث عن المتصوف الاندلسي محي الدين بن عربي وتوجيهاته الأجتماعية، معتمدين المنهج التاريخي التحليلي الوصفي للوصول الى الاهداف المرجوة من الدراسة وبالرجوع الى المصادر والمراجع ذات العلاقة .

الكلمات المفتاحية :التصوف، أثر، بناء، المجتمع، المعتدل .

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وسيد المرسلين نبينا محمد (ﷺ) وعلى اله وصحبه ومن والاه اجمعين . اما بعد ...

يعد الامام الغزالي (ت: 505هـ) علماً من اعلام التصوف وله مؤلفات عديدة : منها "احياء علوم الدين"و " مقاصد الفلاسفه" و "ميزان الاعتدال" و "المنقذ من الظلال" وبه عمل على تشييد صرح ديني واخلاقي شامخ في المجتمع ، اذ نجح في اخضاع العقل ومدركاته لعقائد الدين واشار (ان الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً ، وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا , بل كل شيئين ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا, ولا اثبات احدهما متضمن لا ثبات الاخر، ولا نفيه متضمن لنفي الاخر, فليس بالضرورة وجود احدهما يعني وجود الاخر,ولامن الضروري عدم وجود احدهما يعني عدم وجود الاخر,مثل الري, والشرب, والشبع, والاكل, والشفاء وشرب الدواء.....الخ,وهلّم جره الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب,والنجوم, والصناعات,والحرف، وان اقترانها لما سبق من تقدير كتاب الله سبحانه لخلقها على التساوي,لا لكونه ضرورياً في نفسه غير قابل للفرق...).

لقد سيطر الفكر الاسلامي الديني على عقل الغزالي والايمان القلبي, والدين والعقل في تعليل المعجزات الطبيعيه فيرى: ((وكذلك احياء الميت,وقلب العصا ثعباناً ممكن بهذا الطريق,وهو ان الماده قابله لكل شي : فالتراب ,وسائر العناصر يستحيل نباتاً, ثم النبات يستحيل عند اكل الحيوان له , دماً ثم الدم يستحيل منياً,ثم المني ينصب في الرحم فيخلق حيواناً وهذا بحكم العادة واقع في زمن متطاول .

فلم يحيل الخصم ان يكون في مقدورات الله تعالى, ان يدير المادة في هذه الاطوار في وقت اقرب مما عهده فيه؟) ، وقد ساعدت افكار الغزالي التأمل على التفكير العلمي وتوجيه المجتمع لروح التسامح والتكاتف والتلاقح وخلق جو من الامان بعيداً عن الترف واللهو و الخمر والمخدرات افات وسرطانات المجتمع, وقد حدث اليوم التصوف على زرع روح المحبة والاعتدال والصدق، والأمانة والتواضع بالعيش دون الترف والاسراف بالملذات والفواحش ولا بد من التقشف بالحياة والابتعاد عن الرذائل والفسق والحرام. اتصف الامام الغزالي بالتحليل النفسي الذي يصف به الفضائل مثل فضيلة الصدق والصبر, والاخلاص , وحب الاخر , وحقوق الجار , والوالدين ,والمراة الام والاخت والزوجة والابناء والاخوان والتي نجدها في كتابه(ميزان العمل فذكرها) ، (اما الشجاعه فهي فضيله للقوة الفضية لكونها قوية , ومع قوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع في اقدامها واحجامها وهي وسط بين رذيلتيها المطيفتين بها, وهما التهور والجبن ,والعفة فضيله القوة الشهوانية , وهي وسط بين الشره والخمود ,فيكتنف اذن كل فضيلة رذيلتان هما الافراط و التفريط,الا العدل فلا يكتنفه الا رذيلة الجور المجاورة له, لأنه ليس بين الترتيب وعدم الترتيب وسط). اما المتصوف ابن عربي المرسي الاندلسي (تورمت قدماه من طول القيام... الذي سكن موضعاً نحو اربعين سنة ما اوقد فيه سراجاً ولا ناراً) فقد استغرب عند زيارته مصر سنة 598هـ /1200م عندما اطلّع على سلوك متصوفة الشرق وادابهم تملكه شعور بخيبة امل بلغت حد السخط لتصرف الشباب بالمجتمع من لباسهم المنافي لعادات وتقاليد الاسلام لقوله في (رساله روح القدس في محاسبة النفس والمبادئ والغايات) : ((فأول ما وصلت الى هذه البلاد سالت عن اتباع هذه الطريقه المثلى, عسى ان احد منهم نفحة الرفيق الاعلى فحملت الى جماعة قد جمعهم خانقاه عالية البناء واسعه الفناء, فنظرت الى مغزاهم المطلوب ومنحاهم المرغوب لتنظيف مرقعاتهم بل مشهراتهم وترجيل لحاهم... الخ , ولقد لقيت بهذه البلاد من يلبس سراويل الفتيان ولايستحي في ذلك من الرحمن , لا يعرف شروط السنن و الفرائض ولا يصلح ان يكون خديماً في المراحيض. فهذه البدع التي انتشرت في المجتمع عملت على تخريبه (كل بدعه ضلالة,وكل ضلالة في النار) وساهمت على العنف الاسري لان الشاب طموح وغيور ومسرف و يحب الترف واللهو والسهر ارضاءآ لشهواته, فلا بد من تهذيبه وارشاده وبناء عقله في القيم الدينية ,والتسامح وحسن اختيار الرفاق الصالحين المتعلمين المهذبين بالدين, وان نعلّمه واجبات واداب الاسلام الحنيف ونرشده لقراءة القران الكريم ونحثه على الذهاب للمساجد وان نراعي مشاعره العاطفية ونتابع سيرته ونوصيه ان يتقي ربه ورسوله وصحابته وان يمتثل لتوصياتهم. فنحن نرى ان ابن عربي الاندلسي الذي كان يقطع القضبان فاذا كسل عن الوقوف في الصلاة يضرب بالقضيب ساقيه)) ، لذلك تعرف على عدد كبير من المعلمين الاندلسيين وسمع منهم شكاوى التلاميذ كي يفهم الحالات ليطلع على السلبيات والايجابيات في المجتمع الاندلسي. نرى بن عربي منقطعاً الى تأمل ايات الله الى حد انه لم ينتبه ابداً الى شجرة زيتون كانت موجوده في بستانه منذ نعومة اضفاره , لم يقرأ في حياته بأكملها كتاباً اخر غير القران. أذآ لابد من الاهتمام بتدريس التصوف في المدارس الثانوية والجامعية لزرع القيم والتقاليد ونحارب الفكر الضال الهدام للمجتمع و كشف الدلائل على اضرار العنف وملاحقته لان الاسلام اكد على التسامح و زرع الحب في قلوب الناس واهتم بالامان، ولنا في

رسولنا الكريم (ﷺ) أسوة حسنة فقد حمل في يثرب بين الاوس والخزرج و بين الانصار والمهاجرين و اوصى بحجه الوداع بالعفو عند المقدره واحترام النساء والمساوات ومثلها بأسنان المشط والرفق بالوالدين والعطف على الفقير واليتيم وختم الخطبه بقوله الا هل بلغت اللهم اشهد .

المبحث الاول

العالم المتصوف الامام الغزالي والتربية الاجتماعية

ترجمته – حياته – سيرته

هو حجة الاسلام الفقيه الزاهد محمد بن محمد بن محمد الغزَّالي الطوسي أبي حامد الفقيه ، وهذه النسبة الى الغزَّال، على عادة اهل خوارزم وجرجان ، فانهم ينسبون الى القصار القصارى، والى العطار العطارى ، أما الطوسي فنسبة الى احدى مدن طوس في خراسان . ولد سنة 450هـ ، وهو حجة الاسلام في السعي الى الهداية وأقناع الناس لممارسة الطقوس الاسلامية وأحترامها من أجل أن يسود مجتمع خالي من العنف والفساد والانحراف إلى المحرمات وكأنه يعلم علم اليقين أن المجتمعات الاسلامية سوف تصل إلى ما نحو عليه اليوم من قتل ونهب وهتك للاعراض وفقدان الامن والامان، والخوف يرهبنا ويستوطن قلوبنا، أغلب الناس لا أمل لهم بالحياة الامنة والمستقرة على ما يشاهدونه ويسمعوه ، وسط انتشار الأمراض المزمنة عند بني البشر كالسكري وضغط الدم والقلب بسبب ما يتعرض له جسد الانسان من صدمات والالام وهزات نفسية ، كما نسمع مرض الارق وفقدان شهية الاكل والنوم عند الاباء حزناً على فقدان أبنائهم ،وطول أنتظارهم ، وأنتشار المخدرات عند الشباب لكلا الجنسين بسبب الحرية والانترنيت والموبايل الذي صار يستخدم لأغراض تسعى إلى هدم المجتمع . لقد أنتشرت فلسفة الامام الغزالي وهو أحد أعلام الصوفية في المشرق بفضل مؤلفاته مثل "أحياء علوم الدين " و " المنقذ من الضلال " و " معيار العلم " و " ميزان العمل " وغيرها من الكتب التي يستوجب اطلاّعنا عليها للوقوف على أرائه بالتصوف وموقفه من العنف والصراع النفسي والعلم[1] . اما الارادة فإنها تنشأ عن الحاجة ، ولذلك فهي نقص ولكن الغزالي يرى أن وحدة الحقيقة الالهية أنما تتمثل في الارادة قبل غيرها ، وهو يقول معارضاً الفلاسفة أن الله يعرف العالم ، لأن أرادته هي التي أقتضت وجوده [2]. ويمكن أنتقاد الغزالي بأنه قد ضحّى بفكرة حدوث العالم التي يريد إثباتها وبفكرة أختيار الانسان ، التي لا يمكن التنازل عنها ، في سبيل أنقاذ الارادة الالهية الابدية .

لقد امتازت اخلاق الغزالي بعمق التحليل النفسي الذي يصف فضيلة الصدق، وفضيلة الصبر، وفضيلة الاخلاق وواجب المرء نحو نفسه ، وواجبه نحو أخوانه في الدين وحقوق الجوار ، وحقوق الوالدين ، وحقوق المرأة والابناء والاخوة ، وهي على الجملة تبحث في الفضائل الجزئية ، من غير أن ترتقي إلى البحث في مبدأ الاخلاق ، وأساس الفضائل وغايتها . أن تحديد غاية العمل الانساني مسألة فلسفية لم يخصصها الغزالي ببحث منفرد ، لأن البرهان على مبدأ الاخلاق يقتضي الخروج على شرائط اليقين التي ذكرها في " معيار العلم " نعم أن الغزالي وضع للعمل ميزاناً " ترقى به عن حد التقليد إلى حد الوضوح"[1] ، ولكنه لم يعقد الكلام على أساس هذا الميزان بحثاً خاصاً ، بل أقتصر على وزن الفضائل به من غير أن يبين ما هو ، وهو يمتاز كما قلنا بتدقيقة في وزن هذه الفضائل ، وتحليه تحليلاً نفسياً صحيحا. ولذلك كانت مباحثه في الاخلاق أقرب إلى المباحث النفسية منها إلى المباحث الفلسفية، ولعلنا إذا رجعنا إلى تحليل هذه الفضائل نستطيع أن نستخرج منها على طريقة الاستقراء ، مبدأ الغزالي في فلسفة الاخلاق فالغزالي يقول في كثير من المواضع إن الفضائل خاضعة لحاكم العقل ومقيدة بالشرع ، ويقول في ميزان العمل[2] "وأما الشجاعة فهي فضيلة للقوة الغضبية لكونها قوية ، ومع قوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع في أقدامها واحجامها، وهي وسط بين

رذيلتيها المطيفتين بها ، وهما التهور والجبن " . والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، وهي وسط بين الشره والخمود ، فيكتنف إذن كل فضيلة رذيلتان هما الافراط والتفريط ، إلا العدل فلا يكتنفه إلا رذيلة الجور المجاورة له ، لأنه ليس بين الترتيب وعدم الترتيب وسط [3]. فالفضيلة بالجملة وسط بين الافراط والتفريط ، والكمال في الاعتدال ، ومعيار الاعتدال العقل والشرع [4] ، وكل من أطلع على تحليل آرسطو للفضيلة ، وتحديدها بالاعتدال ، أدرك الصلة التي بين الغزالي وبينه . فالغزالي لم يقتصر في تحليل هذه الفضائل على الشرع بل اقتبس من كتاب الاخلاق إلى نيقوماخوس الكثير من الآراء ، ولذلك تجده يجعل معيار الاعتدال العقل والشرع معاً ، فالخير ليس ما قرره العقل وحده ، بل ما قرره العقل المتأدب بالشرع ، وهذا يجعل الشرع فوق العقل ، ويذكرنا بمذهب اللاهوتيين أمثال (دون سكوت) ، و (آبه - لار) و (جرسون) وغيرهم من الذين جعلوا الخير تابعاً لإرادة الخالق ، فالخير ليس خيراً بالذات ، وإنما هو خير بإرادة الله. فالغزالي إذن بعيد في الأخلاق عن رأي " المعتزلة " ، ومخالف للفلاسفة ، ولعله أن يكون أقرب إلى الصوفية المعتدلة منه إلى رأي الفلاسفة الإلهيين .

وتنقسم الفرق عنده إلى أربع وهي :

1- فرقة المتبعين للأنبياء 2- فرقة الإلهيين الإسلاميين من الفلاسفة 3 - فرقة الصوفية 4- فرقة الجماهير الحمقى الذين زعموا أن الموت عدم محض ، وقرر أن الفرق الثلاث الأولى تتفق في القول أن الحماقة كل الحماقة في فتور الايمان . أن الممعن في أتباع الشهوات ، المعرض عن النظر في المعقولات شقي في الدنيا ، وشقي في الآخرة ، فعلى العاقل أن يسلك سبيل السعادة ، وليست السعادة مقصورة على الدنيا ، وإنما هي مما وصفه الشرع ، ووعد به النفوس الصالحة في الآخرة [5].

فالسعادة في نظر الغزالي لا تنال إلا بالعلم والعمل، ولكل منهما مقياس، فمعيار العلم يميز بين الصحيح والفاسد، وميزان العمل يفرق بين العمل المسعد والعمل المشقي ، وطريقة العمل المسعد هو في التجرد من علائق الدنيا ، والترفع عن الشهوات ، ومخالفة الهوى والتفكير في الأمور الإلهية .

أن مذهب الغزالي في الاخلاق هو مذهب الصوفية المعتدلة ، لأنه لايوافق القائلين بالاتحاد والحلول ، بل يقول إن أعلى درجات السعادة التي تحصل للانسان تقربه إلى الله تعالى تقريباً ، لا بالمكان والمسافة ، ولكن بالمعنى الحقيقي [6] . وقد أخذ من الفلاسفة مبادئهم في تحليل الفضائل ، وجعل السعادة في سلوكها ، ولكنه أضاف إلى ذلك كله ذوقاً خاصاً في التحليل ، وتنويراً لأحكام العقل بتعاليم الشرع . أن نظرية الغزالي الدينية لا تخلو من أستدلالات فلسفية فهو قد أقتبس من الفلاسفة كثيراً من الآراء، سواء عن قصد أو غير قصد ، وجعل فكرة الاله بعيدة جداً عن التجسيم ، وصور البعث والحياة والحياة الآخرة تصويراً روحانياً محضاً. ونستطيع ان نلخص فلسفة الغزالي بقولنا : انها صورة صادقة لحياته الشخصية ، وانها بقدر ما اهملت البحث في حوادث هذا العالم ، أزدادت تعمقاً ونفوذاً في ماهية الدين. ولا شك في ان الغزالي قد ارتفع على مستوى الفلاسفة الذين تمسكوا بالعقل ، واعتبروا الدين من منتوجات الخيال ، او اختراعات المشترعين فخالفهم في ادراك كنه العقيدة الدينية وشرحها وقال انها كشف باطني وحقيقة روحية ، ولا يمكن التردد في تفضيل محاولات الغزالي للوصول الى الحقيقة العليا على مباحث الفلاسفة الذين اقتصروا في الغالب على تكرار ما قيل قبلهم [7] .

<u>تحليل نصوص كتاب المنقذ من الضلال</u> :

وصف الغزالي في كتاب "المنقذ من الضلال" ما قاساه من الاضطراب النفسي عند مقابلة الفرق بعضها ببعض، وما ارتضاه اخيراً من طريقة التصوف، ثم ما صرفه عن نشر العلم ببغداد، ومعاودته له بنيسابور، كل ذلك باسلوب مؤثر تغلب فيه اللهجة الخطابية على الحجاج العقلي، والبرهان

المنطقي. وليس في "المنقذ من الضلال" مذهب فلسفي مستقل ، ولا نظرية مجردة وانما هو حكاية حال الغزالي نفسه ، وذكر انحلال رابطة التقليد عنه، واستيلاء الشك عليه، ثم استشفاؤه بادوية التصوف [8] . فالمنقذ لايحتوي اذن الا على القليل من فلسفة الغزالي ، ومن اراد الاطلاع على هذه الفلسفة فليطلبها من كتاب "التهافت" وكتاب "المقاصد" وكتابي "الاحياء" و"ميزان العمل" .

لقد وضع الغزالي كتاب "المنقذ من الضلال " في اواخر ايامه بعد عزلة دامت عشر سنوات، سلك فيها طريقة الصوفية، وهو يشير فيه الى كتبه الاخرى كالتهافت، والقسطاس المستقيم، والمستظهري ، والمقاصد وفيصل التفرقة وغيرها . وهذا يدل على انه الفه بعد هذه الكتب كلها ، وبعد ان اناف العمر على الخمسين[9] ، فهو اذن من انتاج سن النضج ، وهذا ظاهر ايضاً في اعتدال اسلوبه ، ووضوح اشارته ، وائتلاف معانيه ، وتخير ألفاظه .

الشك في افكار الغزالي :

شاهد الغزالي اضطراب الفرق، واختلاف المذاهب ، وتباين الملل في زمانه فشبه ذلك ببحر غرق فيه الاكثرون ، فاحب ان يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرته ، ويتوغل في ظلماته ، وكان ذلك بدافع طبيعي في نفسه، فقال : " وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني ، من اول امري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي " [10] .

فولد هذا الفحص عن عقائد الفرق في نفس الغزالي شكاً فلسفياً يمازجه شيء من الايمان الصوفي ، وكان اول الشك عنده انحلال رابطة التقليد ، لانه لم يجد فيها علماً يقيناً ، ولا وسيلة لتمييز الحق من الباطل ، فقال في نفسه : " ان مطلوبي العلم بحقائق الامور ولكن ما هي حقيقة العلم [11] ؟ هل يمكن الوصول الى حقائق الامور عن طريق التقليد ؟ ان التقليد لا يفيد علماً يقيناً ، واذا انحلت رابطته فلا مطمع في الرجوع اليه " [12]، فلا بد اذن من بيان حقيقة العلم اليقيني ما هي ؟ .

ان معرفة حقيقة العلم هي من المسائل الاساسية في الفلسفة الحديثة ، لأنها اساس نظرية المعرفة ، والفلسفة تحوم حول مسالتين اساسيتين هما : قيمة العلم ، وقيمة العمل ، أما مسألة قيمة العلم فهي اساس المناقشات الفلسفية التي احتدمت ، واما مسألة قيمة العمل فهي اساس الفلسفة الاخلاقية ، ولا تزال هاتان المسألتان الى ايامنا هذه من امهات المسائل التي تريد الفلسفة الحديثة ان تجد لها حلاً ، واما مسالة العمل فهي اساس الاخلاق. ان الغزالي لم يتعمق في حقيقة العلم ، بل اسرع في تحليل العلم اليقيني وتحديد شرائطه فقال : " العلم اليقيني هو العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الامان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارناً لليقين ، مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهباً ، والعصى ثعباناً ، لم يورث ذلك شكاً او انكاراً [13]، وكل علم لا نتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه . فمقياس اليقين اذن هو الامان ، ومعنى الامان الثقة ، ومقياس الثقة انكشاف. ويرى الغزالي : " معاودة النفس الى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على امن ويقين ، ولم يك ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف ، فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة" [14] .

والمقصود بهذا النور كشف النفس بالحدس عن البديهيات، والحقائق الاولى، لان الاوليات العقلية، لا تدرك بنظم الكلام، وترتيب الحجج، بل تدرك بالحدس، وهي حاضرة في الذهن، والحاضر كما يقوله الغزالي ، اذا طلب فُقد واختفى. ان مسألة الكشف الباطني هي من اعمق المسال التي وردت في المنقذ من الضلال ومن قرأ كتاب "التأملات" وطريقة "ديكارت" في الشك ، وانتقاله الى اليقين بالحدس الفكري ، ومعرفة الذات ، وأدرك قيمة هذا النور الذي تكلم عليه الغزالي [15] . ان هذا الحدس

مفتاح المعرفة ، ولولاه لما رجع اليقين الى العقل . نعم قد يكذب حاكم العقل حاكم الحس ، وقد يكون وراء حاكم العقل حاكم آخر يكذب حاكم العقل، ولكن ما الذي يضمن لنا عدم وجود حاكم آخر فوق هذا الحاكم ؟ هكذا يتسلسل الامر الى مالا نهاية له، فمن الضروري اذن ان نثق بالضرورة العقلية ، ونسلم بالاوليات ، وان فكرة الحدس لم تكن عند الغزالي قاعدة لمذهب خاص، بل اعتمد عليها لتحديد نطاق العقل ، وبيان عجزه عن حل جميع المعضلات، فالعقل لا يمكن ان يكون مصدر العقيدة الدينية، لان الايمان يرجع الى الكشف الباطني. وبالرغم من ان الغزالي قد اقتبس فكرة الكشف هذه من طريقة الصوفية ، فانه امتاز على غيره بجعلها مفتاح العلوم، ومصدر العقائد الدينية، وقد ترفع بها عن طريقة التقليد الى طريقة العقل ، وجعل الحق قائماً بنفسه لا بمن قاله . فالعاقل يجب ان ينظر في الامر ، فاذا وجده حقاً قبله ، سواء " كان قائله مبطلاً او محقاً " [16] ، وليس يجوز ان يهجر كل حق سبق له خاطر مبل ، لانه اذا جاز ذلك ، لزم هجر كثير من الحق ، " ولزمنا ان نهجر جملة من آيات القرآن ، واخبار الرسول ، وحكايات السلف ، وكلمات حكماء الصوفية .

اثر التعليم في الاعتدال :

بدأ من معلم معصوم ، وليس في الامكان انكار ذلك ، انما الخلاف ليس في الحاجة الى التعليم والمعلم ، ولا في ان يكون المعلم معصوماً ، وانما هو في معرفة المعلم نفسه ، هل هو ميت أم حي ؟ فالتعليمية تقول : ان المعلم علم الدعاة ، وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم ، ان اختلفوا واشكل عليهم مشكل . والغزالي يقول ان معلمنا هم محمد "ﷺ" ، وانه علم الدعاة وبثهم في البلاد ، ولكنه اكمل لهم التعليم ، " وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم ، كما لايضر غيبته" [17]. اما مسالة الحكم بالنص او بالاجتهاد ، فقد أجاب عنها الغزالي بقوله : " اننا نحكم بالنص عند وجوده ، وبالاجتهاد عند عدمه" . وقد اثبت ضرورة الاجتهاد بقوله : " ان النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع غير المتناهية ، فلا بد من الاجتهاد في ارجاع الوقائع الخاصة الى النصوص العامة، قال : " فمن اشكلت عليه القبلة، ليس له طريق الا ان يصلي بالاجتهاد، اذ لو سافر الى بلدة الامام لمعرفة القبلة ، لفات وقت الصلاة " . وهذا ايضاً شأن المستفتي في كل واقعة ، لانه اذا رجع الى بلدة الامام ، تبدلت الوقائع ، وفات الانتفاع بالفتوى ،فعلى العاقل ان يجتهد ويبذل وسعه فيما وراء قواعد العقائد في التفصيل .

اما قواعد العقائد نفسها، فيشتمل عليها الكتاب والسنة، ولا حاجة فيها الى الاجتهاد، وقد صنف الغزالي كتاب "الفسطاس المستقيم "، ووضع ميزاناً يعرف به الحق في الكلاميات، وظن انه يمكنه بواسطته ان يرفع الخلاف ، ويزيل التنازع ، فاذا قيل ان هذا الميزان لا يزيل الخلاف، بل يضم الى الشبه الموجودة شبهة جديدة ، قال الغزالي : " ان المتحير اذا قال انا متحير، ولم يعين المسألة التي هو فيها متحير ، يقال له : انت كمريض ، يقول انا مريض، ولا يذكر عين مرضه ، ويطلب علاجه، فيقال له : ليس في الوجود علاج للمرض المطلق ، بل المرض معين" [18] . وكذلك المتحير ينبغي ان يعين ما هو متحير فيه، فاذا عين الامر الذي تحير فيه، امكن الرجوع به الى "القسطاس المستقيم" وازالة شبهته وحيرته بميزان الحق" . فالميزان يغني عن الامام المعصوم ، ويشفي من الحيرة .

اما الطريقة التعليمية فليس معها شيء من الشفاء للخروج من ظلمات الآراء ، وقد ضيعوا عمرهم في طلب المعلم ، ولم يستطيعوا ان يتعلموا منه شيئاً. والغزالي لما فرغ من انقاذ هذه الفرق اقبل بهمته على طريق الصوفية، فوجد اهلها احسن السالكين لطريق الله ، فاطمأن اليهم، وطالع كتبهم، وسمع اقوالهم ، حتى أطلع على غاياتهم ومقاصدهم ، وكان حاصل علمهم كما قال في المنقذ : " قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة ، وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى " [19] . ولكن طريقة الصوفية لا تتم إلا بالعلم والعمل معاً ، وما يمكن الوصول إليه بالتعليم

قليل إذا نسب إلى ما يمكن الوصول إليه بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات والفرق عظيم بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه ، وبين أن يكون حالك الزهد، فالصوفية أرباب أحوال ، لا أصحاب أقوال، ولذلك لما أدرك الغزالي علوم الصوفية النظرية ، أقبل على سلوك أحوالهم بالذوق ، والرياضة ، والاعراض عن الدنيا ، والهرب من علائق الحياة ، ولكنه نظر إلى نفسه ، فوجدها منغمسة في العلائق ، ولاحظ أعماله ، فوجدها غير نافعة في طريق الاخرة ، فرأى نفسه على شفا جرفٍ هارٍ ، ثم أصابته أزمة نفسية ، تجاذبته فيها شهوات الدنيا ، ودواعي الآخرة ، حتى أحس بعجزه ، فسقط أختياره ، وسهل عليه هجر أعماله . لقد وصف الغزالي هذه الأزمة النفسية بلفظ بليغ جزيل ، وبيان عجيب ، فهو لا يتكلم بلسانه ، ولا يكتب بقلمه ، بل يخاطبك بقلبه ، وروحه ذائبة في الفاظه ، وشعوره مصون عن التكلف، لا تقرأ كلامه إلا وتشعر بالحالة النفسية التي أصابته ، فالغزالي قد ذاق أحوال الصوفية بعد أن حصّل علومهم ، ثم أرتقى إلى درجة المكاشفات ، والمشاهدات ، ولكنه لم يبلغ الدرجة التي بلغها " الحلاج " من الاتحاد ، والغناء ، ولم يصف درجات السلوك ، والوصول ، كما وصفها " أبن سينا " في كتاب " الاشارات " . إن أراء الغزالي في أنتقاد الفرق تدل على قوة تحليله ، ومحكم قياسه ، وصادق برهانه ، وسعة أحاطته بمذاهب زمانه ، ولكنها تدل في الوقت نفسه على الميزان الذي وزن به الحق ، وأنتقد به الفلسفة ، وجعل العقل غير كاشف للغطاء عن جميع المعضلات ، وهذا الميزان هو ميزان الكشف الباطني ، الذي تنجلي به العقائد الدينية ، ويحصل به الأمان ، ويعود اليقين معه إلى النفس ، والغزالي لم يتكلم على الفلسفة الا ليبطلها ، ولم يبحث في العلوم الاخرى الا بالقياس الى الدين فليس في "المنقذ من الضلال" شيء يدل على الابحث المجرد ، والحقيقة النظرية ، لان الحقيقة ، بصورة عامة ، تابعة عنده للعقائد الدينية ، والعقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطالب وهكذا كانت ثقة الغزالي بالعقل المحض قليلة ، وليس هو اول من رد على الفلاسفة ، بل قد رد قبله عليهم ، وعلى المعتزلة كثيرون غيره . ولكن ليس في الحوار التي حصل بين المتكلمين والمعتزلة ما يضاهي قوة الغزالي في الرد على الفلاسفة ، فظهرت حجته وضعف قول المنكرين ، ولم يقم في الشرق بعده من يستطيع ان يحيي علم ما بعد الطبيعة ، كما احيا هو نفسه علوم الدين [20]. وكان الغزالي يطلب العلم بطريق الاوليات العقلية ويجرده من سلطان التقليد ثم يعود الى تقييده بسلطان الدين ، ويكفر الفلاسفة في علومهم ، فمرد ذلك الى ما قد يتولد من آفات فقد قال في زجر العامة عن الرياضيات : " يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم ، فانها وان لم تتعلق بامر الدين ، لكن لما كانت من مبادىء علومهم ، يسري اليه شرهم وشؤمهم ، فقل من يخوض فيها الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى"[21]. وهكذا ذهب الغزالي الى ان وراء سلطان العقل طوراً آخر، " تنفتح فيه عين اخرى ، يبصر فيها الغيب ، وما سيكون في المستقبل وأمور اخرى العقل معزول عنها " [22] ، وأصوب الطرق في نظره طريقة الصوفية ، لان جميع حركاتهم وسكناتهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، ليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به [23]. ان انتقاد الغزالي للفرق مبني على هذه الموضوعة الاساسية ، وهي ان العقل عاجز عن الاحاطة بكل الحقائق الالهية ، وان وراء طور العقل طور آخر اساسه الحدس الديني يدرك به الانسان ما لايدركه العقل ، قال في معرض الكلام على الفرق : "الحق لايعدو هذه الاصناف الاربعة ، فهؤلاء هم السالكون سبيل طلب الحق ، فان شد الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع [24] ، وفي ذلك كما ترى اشارة بطرف خفي الى تحديد منطلق العقل وتضيق حدود المعرفة. والغزالي يدرس الظاهرة النفسية الشعورية ، اي نشاط الانسان بوصفه كائناً حياً يشعر انه حي ويعلم انه يقوم بنفسه بامور ليست مادية ولكنها معنوية كالتفكير والشعور بالغضب او الفرح ، ويعني ذلك ان الغزالي يعني بدراسة سلوك الانسان ، ولهذا يعرف النفس

الانسانية تعريفين احدهما تابع الى علوم المكاشفة ، والذي يتبعه الفلاسفة اليونانيين مثل ارسطو وفلاسفة المسلمين مثل ابن سينا ، وقد عرفها بانها (الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الافاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي من جهة ما يدرك الامور الكلية) [25] .

اما التعريف الثاني للنفس ، فالغزالي يتبع نه علم المعاملة فيعرفها (انها الجوهر القائم بنفسه الذي ليس له هو في موضع ، ولا يحل شيئاً) [26] . ان الغزالي في نظريته عن النفس ، يبدو عند الكثيرين مقلداً لفلاسفة اليونان ومن سبقه من الفلاسفة المسلمين من خلال علوم المكاشفة ، وقد تاتي له من الامور الاتية :

1- الأمر الأول ويقسم الى :-

أ- وحدة الفكر البشري في كثير من المواضيع الميتافيزيقية ، كالاصل والمصير والمثل العليا ولا عجب ، أذا اتخذ الانسان في كل مكان طرقاً متشابهة في التفكير في هذه الامور .

ب- وحدة التفكير الديني فيما يتعلق بالديانات بخاصة السماوية ، اذ انها واحدة في اصولها ومنابعها ، فكلها تصدر عن الله وعن طريق الوحي ، اذ ان كل رسالة مكملة للاخرى .

ج- اقترب الغزالي من افلاطون في خلود النفس وصلتها العرضية بالجسم ، ويؤخذ راس ارسطو في وحدة النفس معارضاً افلاطون ، والغزالي بهذا حاول الاستفادة من الاراء التي تتفق مع عقيدته في دعم ما يعتقد.

2- تنوع هذا الكم الهائل من المعلومات والمعارف واختلاطها جعلت لدى الغزالي النزعة الى التوفيق ليخرج بشيء جديد ، وقد استفاد من ذلك في دراسة النفس ووظائفها ، أذ سلك سلوكاً جديداً يختلف عن سلوك من سبقه ، فقد اهتم بالجانب العملي من الحياة النفسية [27] .

3- لقد اوجد الامام الغزالي منهجاً جديداً في دراسة النفس ، أذ مزج علم النفس بالاخلاق والدين ، ويهدف من المعرفة النظرية بالنفس ان تكون سبيلاً الى صلاحها ، والى تهذيب الاخلاق والوصول بالمسلم الى شاطىء النجاة [28] .

4- لقد استطاع ان يجمع عدداً كبيراً من الملاحظات المتعلقة بالنفس والتجارب الشخصية التي حصلت له وللاخرين ، كما فصل القول في العواطف والانفعالات وحللها تحليلاً عميقاً، وهذا امر اهمله اكثر من سبقه وعني بالسلوك الفردي والاجتماعي فخرج بحثه عن ان يكون مجرد نقل لافكار نظرية قالها فلاسفة اليونان ومن سايرهم من فلاسفة الاسلام[29] .

وقد وصف الغزالي النفس باوصاف مختلفة حسب اختلاف احوالها وعلى النحو التالي :

أ- **النفس المطمئنة** : إذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات [30] .

واتجهت إلى صوب من الصواب ، ونزلت عليها السكينات الإلهية وتواترت عليها نفحات فيض الجود الإلهي فتطمئن إلى ذكر الله عز وجل وتسكن إلى المعارف الإلهية وتطير إلى أفق الملكية [31]، فيقال نفس مطمئنة قال تعالى: {يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية} [32] .

ب- **النفس اللوامة** :

وهي تكون مع قواها وجنودها في حراب وقتال وشجار ونزاع وتكون الحرب بينهما سجالاً ، فتارة لها اليد عليها ، وتارة للقوى عليها اليد ، فلا تكون حالها مستقيمة ، فتارة تنزع إلى جانب العقول، فتتلقى المعقولات وتثبت على الطاعات وتارة تستولي عليها القوى(الشهوانية)فتهبط إلى حضيض منازل البهائم، فهذه النفس نفس لوامة [33] . وسميت النفس اللوامة ، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره، في عبادة مولاه . قال تعالى: {ولا أقسم بالنفس اللوامة} [34] ، وهذه النفس هي حالة أكثر الخلق من أرتفع إلى أفق الملائكة حتى تحلى بالعلوم والفضائل النفسية والأعمال الحسنة ، فهو ملك جسماني،

لارتفاعه عن الإنسانية وعدم مشاركته للبشر إلا بالصورة التخطيطية ، ولهذا قال تعالى: {وقلن حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم} [35] .

ج- **النفس الامارة بالسوء** .

وهي التي " تطيع الشيطان وان تركت الاعتراض ، واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان" [36] ، ويقول عنها الامام : " ومن اتضع حتى صار في حضيض البهائم ، فلو تصور كلب او حمار منتصب القامة متكلم لكان هو اياه لانسلاخه عن الفضائل الانسانية وعدم مشاركته للانسان الا بالصورة التخطيطية ، وهذه هي النفس الامارة بالسوء" .

المبحث الثاني
محي الدين ابـــــن عربـــــي المرسي الأندلسي
نشأته – نسبه ـ أراؤه

هو محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، أحد أشهر المتصوفين، لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية" بالشيخ الأكبر" ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية .ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان الكريم عام 558 هـ/1164م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني[37] ، لقبه أتباعه ومريدوه من الصوفية بألقاب عديدة، منها :

الشيخ الأكبر، ورئيس المكاشفين ، والبحر الزاخر، وبحر الحقائق، وإمام المحققين، ومحيي الدين وسلطان العارفين[38] .

نشأتـــــــه :

ولد الشيخ محي الدين بن عربي في مدينة مرسية من أب مارسي و أم أمازيغية و يعرف عند الصوفية بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، واحد من كبار المتصوفة والفلاسفة المسلمين على مر العصور، كان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف، وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقية ورعة نقية من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان [39]. انتقل والده إلى إشبيلية وحاكمها أن ذاك السلطان محمد بن سعد، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس، وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهماً في المعاني والإشارات، ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه، تنقل بين البلاد واستقر أخيرا في دمشق طوال حياته وكان واحدا من اعلامها حتى وفاته عام 637هـ/1240 م [40] . يعد ابن عربي " الديوان الأكبر " إحدى روائع الفكر الانساني ، وأثر فريد في شعر المتصوفة عامة ، والإسلام خاصة، فإذا ما تأمله قاروؤه لم يزل متنقلاً من فائدة إلى اخرى، جامع لآرائه ونظرياته المختلفة ، يكاد يشتمل على كل ما ورد في مؤلفاته الأخرى ، أودع فيه ثمار درسه وبحثه ، وسجل فيه من أروع النظم ما اطمأنت إليه نفسه ، وما أستقر عنده رأيه عرض فيه آراء المتصوفة وعالج مشكلات الفكر الباطني على أختلافها في الإسلام عامة ، وما أشبه بموسوعة ثقافية روحية سجل فيه علم وفلسفة وتفسير وحديث وأدب وسلوك ، وفقه وأصول فقه وعلوم قرآن وتأملات ومكاشفات وموشحات ، يجمل بالمتأدبين معرفته ، فهو ينبوع يغترف منه كل متأدب ولا يستغني عنه أديب [41] .

نسبـــــه :

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله العربي الحاتمي الطائي ، من سلالة حاتم الطائي، كنيته أبو بكر ولقبه الشيخ الأكبر وأيضاً أشتهر بمحيي الدين بن عربي وأشتهر بهذا عند العلماء، ولكن لا ضير بتسميته أبن العربي لإن تلك التسمية أصطلاح عرفي عند أهل المشرق وعند أهل الأندلس بأبن سراقة ، ونسبه من جهة أمه يرجع إلى أبي مسلم الخولاني، وخاله أيضاً أسمه أبو مسلم الخولاني الصوفي صاحب الأحوال، والكرامات [42]. لم يكن له مذهب فقهي مستقل وإنما ينطلق مما أنطلق منه الأئمة الأربعة، حيث قال احدهم وهو الامام الشافعي : " اذا صح الحديث فهو مذهبي ". وعندما ناهز العشرين من عمره اتجه الى الخلوة والتصوف واحوال الناس، لان عمه عبد الله بن محمد العربي من اهل الطريق وكان ابوه محباً لاولياء الله تعالى . وهذه الحقبة من زمن الامام هي مرحلة التكوين العلمي والعملي التي قضاها في الاندلس ، والذي عاصر فيها خلفاء الموحدين وهم : يوسف بن يعقوب ، ويعقوب المنصور ومحمد الناصر ، وفي هذه الاوقات بدأت المدن الاسلامية الكبرى تتساقط في ايدي الاعداء مدينة تلو الاخرى[43]. حينئذ بدأ الامام رحلته خارج الاندلس في بلدان افريقية (تونس حالياً)، وبلدان اخرى في المغرب العربي حيث زار فاس ، وقد بلغ الامام من العمر ثلاثين سنة ، ومن ثم اتجه نحو المشرق العربي سنة 598هـ ، فمر سريعاً بمصر وفلسطين واستقر بمكة زمناً فألف سفر الفتوحات في اطهر بقعة اقام فيها اشارة منه لتكون مصباحاً يضيء هذا الظلام الدامس ، ومشعلاً يهتدي به المسلمون ، وركناً يلجأون اليه في ساعات الخطر. ثم تنقل في بلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى ، ولم يكن المشرق سياسياً ، باحسن حالاً من المغرب ، فقد طعنته حروب صليبية وشبت فيه ، قبل ان يصل اليه الامام بما يزيد على مائة سنة ، واستمرت بعد موته ثلاثين سنة اخرى ، الى ان استقر بدمشق ما بين عام(620هـ و 638هـ) ، وقد بلغ الامام الستين عاماً من العمر ، حتى عمت شهرته العالم الاسلامي ، وتزاحم العامة على بابه كما تنافس الملوك على استقطابه ، الا ان حالته الصحية اخذت في التقهقر. اما بالنسبة لزواجه فلقد تزوج في المشرق من ورثا التي توفيت ببغداد، ثم تزوج من مريم بنت محمد بن عبدون البجائي ،وفاطمة بنت يونس امير الحرمين التي ولدت له كلاً من سعد الدين محمد ، وعماد الدين وابنة توفيت وهي صغيرة فانزلها بيده في لحدها ،ثم تزوج ام صدر الدين محمد بن اسحاق القونوي.

موقف العلماء منه :

لقد اختلف العلماء فيه اختلافاً شديداً، فمنهم من نظر اليه على انه فيلسوف من فلاسفة الاسلام والديانات وذلك لما رأوا من آثاره سواء اكانت علمية او عملية من العمق ودقيق الفكر والعبارة والحكمة ، فهوعندهم شيخ المحققين ومنبر العارفين امام اهل الكشف والوجود من المتأخرين ، خاتم الولاية كما ان محمد بن عبد الله (ﷺ) ، خاتم الانبياء. ويمكن القول ان الفلسفة الصوفية قد اكتملت بهذا الامام خاتم الولاية ، فأصبحت فلسفة صوفية متكاملة ، ذات منهج عقلي تفارق كل المستوى العقلي حين تدخل فيما وراء العقل ، ولكنها تعود إلى عالم العقل بمحاولة ناجحة لتقريب ما وراء العقل إلى العقل [44] . بينما عدّه فريق آخر رأس الضلالة والإلحاد، حيث تهجم أبن تيمية على جميع طوائف الاتحاديين والحلوليين فقال في مجموع الرسائل: " يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات ، وقد يسمون هذا فناء واصطلاماً، وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات ، لا أنها في نفسها فنيت ، ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد أو الحلول ، فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ، ويستغرق في ذلك ، فلا يبقى له مذكور مشهود لقلبه إلا الله ، ويفني ذكره وشهوده لما سواه ، فيتوهم أن الأشياء

قد فنيت ، وأن نفسه فنيت ، حتى يتوهم أنه الله ، وأن الوجود هو الله ". أما موقفه من الإمام بشكل خاص فقد بنى حكمه على ما أثر عنه من أقوال ، فإذا ثبتت فقد أنزل فيه الحكم وإلا فلا ، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً أو عدماً . وهنا يأتي دور المحققين في هذه الاقوال لأن الأمام قد نسبت إليه أقوال زور وبهتان ،ولهذا فإن هذه الأقوال التي قد حيكت حولها المخالفة فإنها تزان بميزانه بما ثبت عنه بلا شك ولا ريب في الأصول المعتمد لديه، فما أجمله من إمام عظيم نحا نحو هذا ، حيث ألفت كتاباً فسميته " تنبيه الغبي على تنزيه أبن عربي " فرحمة الله عليك إيها الحافظ السيوطي .

آراء حول مؤلفاته :

قال بروكلمان : "إنه مؤلف من أخصب المؤلفين عقلاً ، وأوسعهم خيالاً ، وذكر له نحواً من مائة وخمسين مؤلفاً ، لا تزال باقية بين مخطوط ومطبوع" ، فقد فاق كبار مؤلفي الإسلام من ناحية الكم والكيف على السواء ، أما من ناحية الكم فقد ألف نحواً من مائتين وتسعة وثمانين كتاباً ورسالة كما يقول في مذكرة كتبها عن نفسه سنة 632هـ ، أو خمسمائة كتاباً ورسالة ، كما يقول عبد الرحمن جامي صاحب كتاب نفحات الأنس. قال المستشرق - نيكلسون - في مجموعة تراث الإسلام : "إن أبن عربي عبقري الإسلام ، وقد عبّد السبل أمام اللاهوت المسيحي للنهوض والتحلل من القيود بل له آثاره في بعث الأدب الأوروبي أيضاً" ، بل ذهب بعضهم إلى القول بأن أثره في الإصلاح الديني في اللاهوت المسيحي لا يقل عن أثر لوثر نفسه . وفي كشف الخفا عن الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير أنه: "معدود من الحفاظ " [45] .

عقيدة محيي الدين بن عربي ومذهبه الفقهي :

من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد " فيا إخوتي وإحبائي رضي الله عنكم، أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلي الله في كل لحظة وطرفة، أشهدكم علي نفسه بعد أن أشهد الله وملائكته, ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولاً وعقداً, أن الله إله واحد، لا ثاني له وألوهيته منزهة عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له في الملك ولا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده, بل كل موجود سواء مفتقر إليه الله في وجوده فالعالم كله موجود به، وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، ليس بجوهر متحيز فيقدر له مكان ولا بعرض فيستحيل اليه البقاء ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهات والأقطار, مرئي بالقلوب والأبصار....." [46]، وقد اختلف في مذهبه الفقهي لكن يبدو أنه كان ظاهرياً قبل أن يجتهد لنفسه كما يبدو في بعض مطاوي رسائله.

توجيهاته الاجتماعية :

أهتم أبن عربي في التربية الصوفية وزرع القيم السماوية في المجتمع الإسلامي وخلق جيل يتمتع بالخصال الحميدة التي تجلب الأمن والأمان والتسامح والاحترام والتلاقح والتقارب بين الأخوة في الأسرة والمجتمع، فالتربية عند المتصوفة أساس للقيم والتقاليد السماوية ، وقد أكد أبن عربي في رسائله على الصدق بقوله: " من كان سلوكه بالحق ووصوله إلى الحق ورجوعه من الحق بالحق ، فنظره الحق من كونهم حقاً بالحق واستمداده من عرفا نيات الحق فلم يخط له حكم ، فلم يجر على لسانه ولا عليه لسان باطل ، وكان حقاً في صورة خلق بنطق حق وعبارة خلق" [47] .

ما اكده وكرره عن الصدق حق على البشر لفرض القانون والعدالة في التعامل الاجتماعي وبث مبدأ "العدل اساس الملك"، وأشار ابن عربي الى النصيحة التي تخلق الفرد لان التجارب مهمة في بناء المجتمع الناجح الخالي من العنف بقوله : " لاتدخل داراً لا تعرفها فما من دار الا وفيها مها ومها لك فمن دخل داراً لا يعرفها فما أسرع ما يهلك ، لا يعرف الدار إلا بانيها فإنه يعرف ما أودع فيها، "

بناك الحق داراً له لتعمرها به ما أنت بانيها " أفرأيتم ما تمنون * أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون " [48] ، وهو يقصد إن لا تذهب إلى مكان ليس فيه رزقك ولا تدخل بيتاً يؤدي بحياتك إلى التهلكة [49] .

وقد ذكر أبن عربي عن تصحيح المحبة في المجتمع المثالي " من صحت معرفته صح توحيده ، ومن صح توحيده صحت محبته، فالمعرفة لك والتوحيد له، والمحبة علاقة بينك وبينه ، بها تقع المنازلة بين العبد والرب " [50] . أما تجلي الأخلاق فيعد من أهم ملامح المجتمع الإسلامي وميزان الاعتدال والتسامح ، كما ذكر أبن عربي بقوله " تتنزل الأخلاق الالهية عليك خلقاً خلقاً ، بعد خلق وبينهما مواقف الهية مشهدية اعطاها ذلك الخلق تمر كالبروق فلا تفوتك فانك لا تفوتها ولا تطلبها فانها نتائج الاوقات ، ومن طلب ما لابد منه كان جاهلاً وما اتخذ الله ولياً جاهلاً " [51] . وقد أوصى رجال التصوف بوصايا تنفع المسلم ليسر إلى الأخوة الصالحة ، كما جاء به أبن عربي بقوله " وأوصيك في هذا التجلي بالعلم ، وتحفظ من لذات الأحوال فأنها سموم قاتلة ، وحجب مانعة ، فإن العلم يستعبدك له وهو المطلوب منا ويحضرك معه والحال يسوك على أبناء الجنس فيستبعدهم لك قهر الحال فتبسط لهم بنعوت الربوبية ، وأين أنت في ذلك الوقت مما خلقت له ، فالعلم اشرف مقام فلا يفوتنك [52]. اما تجلي الطبع البشري على فعل الخير او الشر فهو " قد يرجع العارف الى الطبع في الوقت الذي يدعوه الحق منه لانه لايسمع من غيره ، اذ لاغير له نداء اصلاً ، وليحفظ نفسه في الرجوع لان الطبع قهراً تقصده العادة فينبغي له ان لا يألف ما يقتضيه الطبع ، وقد رأينا من هؤلاء قوماً انصرفوا من عنده بسنة منه ثم ودعهم وما ناداهم فالفوا الطبع باستمرار العادة فتولد صمم من ذلك فنودوا نداء الاختصاص فلم يسمعوا فنودوا من المألوفات فسمعوا فضلوا واضلوا" [53] .

فالعادات في حقيقتها تكتسب من التربية في الاسرة ، فمن شب على عادة الاضرار او سوء السلوك يشكل خطراً على المجتمع ، وكما تقول الحكمة " الاناء ينضح بما فيه " ، فالفرد واخلاقه وذاته .

خاتمة :

بعد الأنتهاء من اعداد الاطار النظري لهذه الدراسة توصلنا الى النتائج الاتية :

1. يشكل التصوف باباً مهماً في المجتمع الاسلامي محوراً مهماً في التقليل من مظاهر العنف والتسلط والتهور داخل الاسرة ، اذ كان الفرد مسلماً ان يتذكر ما أوصى القرآن الكريم والحديث الشريف من الاخلاق والاحترام والتسامح والمحبة والعفو عند المقدرة .
2. وجدنا بالبحث ان أئمة التصوف لهم اسهامات واسعة في نبذ العنف والزجر بالشتائم أو استخدام القوة بالضرب والامانة ، فالامام الغزالي من اهل المشرق ولد في بخارى اما ابن عربي المرسي من أهل الأندلس في الغرب الإسلامي ، كي نؤكد أن الروابط في المفاهيم الصوفية متقاربة في نبذ العنف وبث فكر التسامح والأخلاق والاعتدال والتلاقح والتقارب .
3. وجدنا كذلك نصوصاً في فلسفة التصوف عند الغزالي وأبن عربي تلمح أو تشير وتؤكد على روح المحبة بالتربية الاجتماعية والدينية فالشعوب المتدينة أكثر سلاماً واحتراماً للناس .
4. علينا العودة إلى التراث والاقتداء بسيرة الرسول الكريم (ﷺ) والصحابة والتابعين رضي الله عنهم وتدريس الجيل على أقوالهم وأفعالهم في المناهج التربوية .
5. الفروق الاجتماعية تقاس بالقيم والتقاليد والاحترام وحب الله ورسوله الكريم والالتزام بالواجبات كي نضمن مجتمع ناجح خالي من العنف والانحراف وننقذ البلد مما يجري من مأساة والالام جراء العنف والجرائم المتنوعة، كما جاء في وصية الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) " لا تحملوا ولادكم على أخلاقكم ، فإنما خلقوا لزمان غير زمانكم ".

الهوامش :

(1) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء ازمان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة ،القاهرة، 1948، ج2، ص81-82 .
(2) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ميزان العمل ، حققه وقدم له : سليمان دنيا، الطبعة الاولى، دار المعارف، مصر 1964، ، ص30 .
(3) ابو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق وتصحيح : سعد كريم الفقي، مكتبة الاسكندرية ، مصر ، بلا .ت، ص27 .
(4) الغزالي، ميزان العمل ، ص91 .
(5) الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص27 .
(6) الغزالي، ميزان العمل ، ص30 .
(7) ت.ج . دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948، ص149-150 .
(8) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص31.
(9) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص80 .
(10) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص81 .
(11) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص82 .
(12) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص88 .
(13) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص64 .
(14) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص88 .
(15) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص37 .
(16) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص97 .
(17) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص93 .
(18) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص107 .
(19) الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص112 .
(20) الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص108 .
(21) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص46.
(22) الغزالي،المنقذ من الضلال ، ص80.
(23) الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص111 .
(24) الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص106 .
(25) الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص69 .
(26) الغزالي ، معارج القدس ، ط4 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1980م ، ص21 .
(27) الغزالي ، معارج السالكين ، تحقيق : محمد بخيت ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978، ص14 .
(28) عبد الكريم العثمان ،وظائف النفس عند الغزالي ، مهرجان الغزالي في دمشق ،1961، ص638.
(29) احمد فؤاد الاهواني ، الغزالي مؤسس علم النفس الاسلامي ، مجلة العربي ، الكويت ،العدد 56 ، تموز ،1963 ، ص51 .
(30) عبد الكريم العثمان ، وظائف النفس ، ص629 .

(31) الغزالي،احياء علوم الدين ، مطبعة دار الشعب ، القاهرة ، بلا.ت ، ج8 ، ص1345 .
(32) سورة الفجر ، الاية : 27- 28 .
(33) الغزالي، معارج القدس ، ص6 .
(34) الغزالي، احياء علوم الدين ، ج8 ، ص1345 ؛ سورة القيامة : الاية :2 .
(35) الغزالي، معارج القدس ، ص16 ؛ سورة يوسف ، الاية : 30 .
(36) الغزالي، احياء علوم الدين ، ج8 ، ص1345 .
(37) محي الدين محمد بن علي بن عربي، رسائل ابن عربي، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2001، ص 3-4 .
(38) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات، تحقيق: ابو محمد جلال الاسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010،ج4،ص179 .
(39) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج4، ص23 .
(40) اسماعيل بن عمربن كثير الدمشقي، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف، بيروت، 1990، ج13 ، ص56 .
(41) محي الدين بن عربي، ديوان ابن عربي، الطبعة الثالثة،دار صادر ، بيروت ، 1428هـ/2007م ، ص 4 .
(42) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : احسان عباس، دار صادر، بيروت ،1961، ج2 ص 384 .
(43) محي الدين بن عربي، ديوان ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص6 .
(44) ابن عربي، ديوان ابن عربي ، ص11.
(45) محي الدين بن عربي ، ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الاشواق ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة الاولى، دار المعرفة، بيروت، 2005، ص11 .
(46) محي الدين بن عربي، كتاب حلية الأبدال في رسائل ابن عربي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروات،2004، ص34 .
(47) ابن عربي، رسائل ابن عربي ، ص427 .
(48) سورة الواقعة ، الاية :58-59 .
(49) ابن عربي، رسائل ابن عربي ، ص444 .
(50) ابن عربي ، رسائل أبن عربي، ، ص448 .
(51) ابن عربي، رسائل ابن عربي ، ص434 .
(52) ابن عربي، رسائل ابن عربي ، ص434 .
(53) ابن عربي، رسائل ابن عربي ، ص434-435 .

Margins:

(1) Abu Al-Abbas Shams Al-Din Ahmed Bin Muhammad Bin Khalkan, The Deaths of Notables and the News of the Sons of Azman, investigated by: Muhammad Muhyi Al-Din Abdel Hamid, Al-Nahda Library, Cairo, 1948, Volume 2, pp. 81-82.

(2) Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi, The Balance of Work, edited and presented to him by: Suleiman Donia, first edition, Dar al-Maaref, Egypt 1964, p. 30.
(3) Abu Hamid Al-Ghazali, The Savior from Error, Edited and Corrected by: Saad Karim Al-Fiqi, Library of Alexandria, Egypt, Bla. T., p. 27.
(4) Al-Ghazali, Balance of Work, p. 91.
(5) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 27.
(6) Al-Ghazali, Balance of Work, p. 30.
(7) T.C. De Boer, History of Philosophy in Islam, translated by: Muhammad Abd al-Hadi Abu Rida, Committee for Authoring, Translation and Publishing, Cairo, 1948, pp. 149-150.
(8) Al-Ghazali, The Deliverer from Error, p. 31.
(9) Al-Ghazali, The Savior from Error, pg. 80.
(10) Al-Ghazali, The Savior from Error, p. 81.
(11) Al-Ghazali, The Savior from Error, p. 82.
(12) Al-Ghazali, The Savior from Error, p. 88.
(13) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, pg. 64.
(14) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 88.
(15) Al-Ghazali, The Deliverer from Error, p. 37.
(16) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, pg. 97.
(17) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 93.
(18) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 107.
(19) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 112.
(20) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 108.
(21) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, pg. 46.
(22) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 80.
(23) Al-Ghazali, The Savior from Error, p. 111.
(24) Al-Ghazali, The Rescuer from Error, p. 106.
(25) Al-Ghazali, The Savior from Error, pg. 69.
(26) Al-Ghazali, Ma’arij Al-Quds, 4th edition, Dar Al-Afaq Al-Jadeeda, Beirut, 1980, p. 21.
(27) Al-Ghazali, Ma’arij Al-Salikeen, investigation: Muhammad Bakhit, Al-Khanji Library, Cairo, 1978, p. 14.
(28) Abdul Karim Al-Othman, The Functions of the Soul at Al-Ghazali, Al-Ghazali Festival in Damascus, 1961, p. 638.
(29) Ahmed Fouad Al-Ahwani, Al-Ghazali, the founder of Islamic psychology, Al-Arabi Magazine, Kuwait, No. 56, July, 1963, p. 51.

(30) Abdul Karim Al-Othman, Functions of the Nafs, p. 629.
(31) Al-Ghazali, Ihya Ulum Al-Din, Dar Al-Shaab Press, Cairo, Plat.T, Part 8, pg. 1345.
(32) Surat Al-Fajr, verse: 27-28.
(33) Al-Ghazali, Ma'arij Al-Quds, p. 6 .
(34) Al-Ghazali, Reviving the Sciences of Religion, Volume 8, pg. 1345; Surat Al-Qiyamah: Verse 2:
(35) Al-Ghazali, Ma'arij Al-Quds, p. 16; Surat Yusuf, verse 30.
(36) Al-Ghazali, The Revival of Religious Sciences, vol. 8, pg. 1345.
(37) Muhyi al-Din Muhammad ibn Ali ibn Arabi, Letters of Ibn Arabi, footnotes: Muhammad Abd al-Karim al-Nimri, first edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2001, p. 3-4.
(38) Salah al-Din Khalil bin Aybak al-Safadi, al-Wafi in Deaths, investigated by: Abu Muhammad Jalal al-Assiouti, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2010, vol. 4, p. 179.
(39) Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Dhahabi, Biography of the Nobles' Flags, investigated by: Shuaib Al-Arnaout and Muhammad Na`im Al-Arqossi, eleventh edition, Al-Resala Foundation, 2001, volume 4, p. 23.
(40) Ismail bin Omar bin Katheer Al-Dimashqi, The Beginning and the End, Al-Maaref Library, Beirut, 1990, vol. 13, p. 56.
(41) Muhyi al-Din Ibn Arabi, Diwan Ibn Arabi, third edition, Dar Sader, Beirut, 1428 AH / 2007 AD, pg 4.
(42) Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad al-Maqri al-Tilmisani, The good smell of the fresh branch of Andalusia, and its minister was mentioned by Lisan al-Din ibn al-Khatib, investigation: Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, 1961, vol. 2, p. 384.
(43) Muhyi al-Din Ibn Arabi, Diwan Ibn Arabi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2007, p. 6.
(44) Ibn Arabi, Diwan Ibn Arabi, p. 11.
(45) Muhyi al-Din Ibn Arabi, Dhakira al-Alaaq, Explanation of Tarjman al-Ashwaq, taken care of by: Abd al-Rahman al-Mustawi, first edition, Dar al-Maarifa, Beirut, 2005, p.
(46) Muhyi al-Din Ibn Arabi, The Book of Hilyat al-Abdal in Ibn Arabi's Messages, second edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2004, p.
(47) Ibn Arabi, The Letters of Ibn Arabi, p. 427.

(48) Surat Al-Waqi'ah, verse: 58-59.
(49) Ibn Arabi, The Letters of Ibn Arabi, p. 444.
(50) Ibn Arabi, Letters of Ibn Arabi, p. 448.
(51) Ibn Arabi, The Letters of Ibn Arabi, p. 434.
(52) Ibn Arabi, The Letters of Ibn Arabi, p. 434.
(53) Ibn Arabi, The Letters of Ibn Arabi, p. 434-435 .

The impact of Islamic mysticism in building a moderate society reading of the ideas of Imam Abu Hamid Al-Ghazali and Muhyi Al-Din bin Arabi Al-Mursi as a mode

Prof. Dr.
Barzan moyasir hamid alhmeed
Islamic history/ Maghreb and Andalusia
College of Education for Human Sciences
University of Mosul / Iraq

Prof. Dr.
Abdurahman ibraheem hamd algantossi
Islamic thought and civilization
College of Education
University of Iraqi / Iraq

dr.barzan_78@yahoo.com
07701601393

Abstract :

Sufism has played a great way in caring for the family and saving it from the misguided and destructive thought of the Islamic society and working to raise the generation according to correct Islamic foundations that adopt the Noble Qur'an as a thought, the hadith and the Muhammadan biography as a method and we follow the recommendations of the companions as a program to enlighten the mind and heart The thought of Sufism has contributed to spreading security, morals, culture, moderation, humility, equality, respect for opinions and theories, and holding oneself and human beings accountable for mistakes, sins and abominations. From here, we will discuss in this study the impact of Islamic mysticism in building a moderate society and producing ideal children, taking the thought of Imam Al-Ghazali and Ibn Arabi in this field as a model. The nature of the study necessitated that we divide it into two sections, in the first section we dealt with Imam Al-Ghazali, may God have mercy on him, and social education, while we devoted the second section to talk about the Andalusian Sufi Muhyiddin Ibn Arabi and his social guidance, adopting the historical, analytical, descriptive method to reach the desired goals of the study and by referring to the sources and references Related .

Keywords: Sufism, impact, building, society, moderate.